

الورقة ملء الليل

شعر



الوردة ملء الليل

المؤلف :

رضا العبيدي

الطبعة الأولى :

أبريل 2006

رقم الإيداع :

٢٠٠٦ / ١١٩٤٨

I.S.B.N. : الترميم الدولي :

84-931366-10-0

لوحه الغلاف للثاناه الفرنسيه :

جاكوب كاميل

تصميم الغلاف :

كامل جرافيك

EDITORIAL HISPANO-EGIPCIA
SANABEL
الإسبانية المصرية للكتاب

الإشراف العام

د. طلعت شاهين

مكتب القاهرة

(+20) 12 410 20 08

sanabook@maktoob.com

sanabook@hotmail.com

بالتعاون مع :



دار ألواح

DAR ALWAH

APARTADO 50631

28080 MADRID

SPAIN

حقوق الطبع محفوظة

الورقة ملء الليل شعر

رضا العبيدي

هو

البحر

الذي أخذني على حين غفلة مثل النعاس
الذي أمواجه تزمجر هائجة كثيران تحت سياط الأمطار
الذي أمكنني أن لا أنجو منه حتى بأعجوبة
الذي حدث طويلاً ضفافه عن تخبطي في لججه
مثل سمكة صغيرة فوق حصى اليابسة
الذي تحول إلى خرافة واسعة ككهف
الذي لا يفتأ يعرض ذاكرتي ككلب سائب
الذي كلما رجمته بحجارة ابتلعها بشراهة
الذي يضحك بلا توقف ضحكاً هستيرياً
البحر.

(القطار بين نيس وبوردو 19-3-2005)

اعتذار

لكنها ضفائر ك المشدودة بعناية
إلى ما كان
من خروجنا إلى جهة أخرى
نجهل جغرافيتها
المبسطة في كتاب صغير
يطالعه الأطفال
تغمرني الآن بكل تموجاتها
وتجرفني بعيداً.

لكنها — أقصد يدك التي أصابعها بلا خاتم وحيد —
تربت على كتفي
وتهمس لي: إنس
لا تكثر
وانهب في حال سبيلك

لكنها
وأنس
ما يجب كتابته
في مناسبة كهذه.

(مارس 2005)

في الطريق نسيتُ

في الطريق إليك نسيتُ أن حياتي تآكلت حتى النصف
نسيتُ حتى أن أنظر إلى السماء
— إن كانت ستمطر ذلك اليوم —
في الطريق إليك أضعتُ حقيبتتي
أسمي بالكامل
بعض الأوراق النقدية
بنلة وردة تحفظ صفحة في كتاب
الصفحة التي لم أقرأها بعد
وما تلاها من الصفحات
بطاقة بريدية وحيدة
رزمة الأيام القادمة
في الطريق أضعت كل شيء
حتى النبضات التي كان يُفترض أن تتسارع لدى رؤيتك.
(نيس 2004)

أوراق يابسة

كنتُ لم أنتبه بعدُ من جمع الأوراق اليابسة
التي أسقطها هواء البارحة
لما طلعت الشمس
وغمرني نورها
كنتُ لم أتوجه بعد
لانتزاع ورقة أخرى — ككل صباح —
من الروزنامة المعلقة على الحائط
الذي بالكاد يتماسك.

هكذا يتعين عليّ أن أبدأ نشاطاً
يبدأ بفتح الباب
ولا أدري بعد ذلك أين ينتهي
مثل خط في خريطة يرسم مجرى نهر
مصبّه ممحو في جانب من الصفحة
مهروس
بأصابع قلقة متوترة
لسائح في حيرة من أمره
لا يدري من أين يبدأ رحلته

في البداية أقطع الشوارع ذاتها
أمر أمام واجهات المحلات ذاتها
وقد أرى المشاهد ذاتها
تحت ذات الشمس
تحت ذات السماء
بعد ذلك ربما أحدهم يطرقُ بابَ البيت الذي أكونُ خارجه
ربما يتبدل الطقس وتهب عاصفة
تطوح بالشجرات التي كانت بدتْ هادئةً هذا الصباح
تعبثُ بالغسيل المعلق على الحبل — والذي لم يجفَّ بعد —
وتكنس آثار الخطوات من على الطرق الأخرى
لتكدسها أمام عتبة البيت
ربما تهطل أمطار غزيرة فوق السقوف
تجبر الخارجين في ذلك الوقت على حمل مظلات
تحجبُ عنهم رؤية السماء
ربما ينزل خبر عليّ نزول الصاعقة
يضطرني لحث خطوات عريضة كأفواه
جائعة
لعماليق في كهف خرافة

كدتُ أنسى تفاصيل أحداثها
لولا أنها في ذلك الوقت
تكون بصدد التكرّر قِيّ وضوح تام
مثلما تتكرّر إيقاعات حبات الأمطار
الهائلة بغزارة.

هكذا البيت الذي منه أخرجُ
لا أعودُ إليه في الغالب.
— أقصد لا أعودُ إليه نفس الشخص
الذي خرج صباحاً —
كما لو أنني أيضاً ورقة
تُنتزع كل صباح من الروزنامة
التي على الحائط
الذي بالكاد يتماسك.
البيت الذي منه أخرجُ
يعود إليه آخر غيري
بذاكرة أخرى
وملامح أخرى
المِرآة وحدها تعرف ذلك

المرأة التي على الحائط
الذي بالكاد يتماسك
أحد آخر غيري يزور البيت كل عشية لأول مرة
ليخرج منه صباح اليوم التالي لآخر مرة
دون حتى أن يترك وصية مقتضبة فوق الطاولة
دون حتى أن يغلق الباب وراءه برفق.

أُحَرِّثُكَ

أُحَدِّثُكَ عَنِ اللَّيْلِ الَّذِي طَالَ كُلُّ شَيْءٍ
حَتَّى زَوْجِ الْقَفَّازِ الَّذِي أَجْمَعَ بِهِ الْقَاذُورَاتِ
الْمُتْرَاكِمَةَ عَلَى مَدَى الْيَوْمِ لِإِلْقَائِهَا فِي
حَاوِيَةِ الْمَهْمَلَاتِ...

أُحَدِّثُكَ عَنِ الْجَسَدِ الَّذِي اخْتَرَقَتْهُ سَكِينٌ
لَمَعَتْ بِحَدَّةٍ فِي فِيلْمِ الْبَارِحَةِ
أُحَدِّثُكَ عَنِ قَوَارِبِ الْمَوْتِ عَلَى طُولِ سَوَاحِلِ الْمَتَوَسِّطِ
أُحَدِّثُكَ عَنِ الْأَصَابِعِ الْبَارِدَةِ لِلْغُرْقَى بِأُظَافِرِهَا غَيْرِ الْمَقْلَمَةِ
أُحَدِّثُكَ عَنِ كَسُورِ فِي الْجِدَارِ
الَّذِي لَمْ يَشِيدْ بَعْدَ — وَلَوْ أَعْوَجَ
كَهْيَاةَ أَحَدٍ مَا — مَجْنُونٍ بِالتَّأَكِيدِ — بِصَدْدِ الْإِنْحِنَاءِ
لِلنَّقَاطِ شَمْسِ رَأَاهَا فِي قَاعِ غَدِيرٍ...
أُحَدِّثُكَ عَنِ طُفُولَةِ كُلِّهَا أَكَاذِيبِ
وَأَرَاغِيحِ كَثِيرَةٍ

لَمْ أُرْكَبْ وَاحِدَةً مِنْهَا وَلَوْ فِي الْحِلْمِ

الكاذب أيضاً

رغم اجتهادات جدتي في تفسيره.

أحدثك بلا رأفة

أحدثك عن كل شيء

وعن لا شيء تقريباً

فيما أنت تمضغين علك الشوينغوم

الذي تعطينه الأشكال التي تريدينها

بعضاتك

دون أن تصرخ أو يتألم

دون حتى أن يتذكر

النبذة القديمة التي كانها

في مكان بعيد

مكان واسع كهذا الحديث

الذي أنا بصدد الخروج عن موضوعه

كمن يخرج في نزهة

لا يعود منها.

ملاحظات زائر آخر للمعرض

وكما يستلُ خنجراً من مغمده
خرجتُ من البيت
غير آبه لصيحة الباب ورائي
الباب الذي انغلق
إلى الأبد ..

حتى أن الليل لم يحل ذلك المساء
النجوم لم تظهر
للصوص لم يخرجوا
الأشباح لم تطل من مغاورها
والصباح ظل مؤجلاً إلى ما لا نهاية.
حتى أن الحصيات الصغيرة صارت ثقيلة جداً

كي تُرمى بها النوافذ
التي لم تكن تُرى بوضوح
ودقات القلوب أضحت بطيئة جداً مثل سلاحف
كلما شرعنا في عدها اعترانا الملل
لبطنها الشديد غير القابل للتحمل
إذ يغدو الأمر كريهاً كما لو أنه درس في الرياضيات.

حتى أن الجميع كان ينسحب مثل بساط تلهو به ريح
لا نعرف من أين تهب
من كل ارتباطاته
ومواعيده
التي لم يجد الوقت — ولا الشجاعة — بعد لتدوينها في مفكرة
(ولو ذات أوراق بالية).

حتى أنني لما خرجت
(إلى الأبد)

لرؤية هذا المشهد

بكل تفاصيله التي ظل البعض منها عالقاً بريشة الرسام
الذي كان يتحدث إليّ كمن يتحدث إلى نفسه في بهو المعرض

لم أعد أتحمّل الأطر الخشبية المربعة التي كانت تحوي كل
هذه الألوان — التي لا معنى لها خارج الليل الذي لا يحل أبداً —
لم أقو على الذهاب أبعد من حياة معمر عاش خلف الرّبي البعيدة
التي كانت تحجب عني القمر فلا يصل إلّا في ساعة متأخرة
نكون فيها قد نمنا — أنا وهو والجميع — عميقاً
وهدأت حركتنا مثلما يهدأ
ماء راكد

حتى أنهم لما بحثوا عني في كل الأركان الشهيرة بتجميع
الظلال
لم يجدوا لي أثراً عدا بعض قطرات من الدم تشربها التراب
الجاف
— قيل إنها من فصيلة دمي —
وزوج حذاء مسحت عنه الأغبرة بكل عناية.

حتى أنني لم أعد إلى بيت
لم أعد أتذكر منه سوى صيحة بابهِ إثري
ولم أشأ أن أسأل عن مكانه من ظننتهم جيراناً مخافة

أن يُقال بأنني جننت
وأفاد إلى مصحة عقلية
أُجبرُ فيها على حضور دروس في الحساب الذي أكرهه
ويُصغى فيها إلى نبضات قلبي في أحيان كثيرة
وفضلت على كل ذلك أن أسير في دجى ليل آخر
في مكان آخر
بعيداً عن بهو المعرض
والألوان التي لا تعني شيئاً
وتفسيرات الرسام
والأطر الخشبية المربعة.

نحن

داخل عربة القطار
الذي ينطلق بعد قليل
نحن — جميع المسافرين — عائلة في بيت
في العربات الأخرى، الجيران
داخل القطار الذي أنطلق للتو كتيار النهر
فوق سكة الحديد التي تحدد وجهته بكل دقة
نحن المسافرون — كل إلى وجهته، كل إلى حاجته —
نحاول أن نقصر المسافات بالحديث عن كل شيء
ولا شيء: عن خلل في نظام التهوية،
عن المناظر وراء النوافذ التي تمرُّ سريعة فلا تعطينا الوقت
الكافي
لتأملها، عن الحرب في العراق، عن اجتماع
حلف الناتو في مدينة "نيس"، عن المظاهرات
التي تملأ الشوارع هذه الأيام، عن صحة بابا الفاتيكان،...

نحن المسافرين في هذه العربة
نحن العائلة الواحدة إلى حين
نحن الذين يتناقص عددا من محطة إلى أخرى
فيما القطار غير آبه لهُرائنا
ورنين هوانفنا المحمولة في مرات كثيرة
يواصل سيره متبعاً سكته الحديدية
التي ترسم وجهته بكل دقة
سريعاً
كتيار النهر.

(-القطار بين نيس ومرسيليا - مارس 2005)

طربوش الأبله

أركض نحو وجهتك متكاثراً كالفطر
متمائلاً كقارب ركبه الجنون
الأرض كرة أتقاذفها أمامي أنا الذي
بساق واحدة مثل شجرة
تنتظر زيارة الحطاب بين الفينة والأخرى — والجميع
يصفق لمرأى الستائر تتحسر عن مشهد تصعب
رؤيته بالعين المجردة —
السماء طربوشي الذي يحلو للأطفال انتزاعه
من على رأسي والتلاعب به في أمواج من الضحك
أنا الأبله الذي أضاع طريق العودة إلى ذاته الصغيرة كحشرة
دون أن يدرك أنه أضاع طريق العودة إلى ذاته الصغيرة
كحشرة
وواصل غناؤه
وعواءه في دغل آخر

كيف لي أن أزرر قميصي من جديد
كيف لي أن أترك هذا البحر — هكذا بسهولة —
وأسمائه
من ستأكل
من بعدي ... ؟

(مرسيليا — شتاء 2005)

في حاوٲ غريب

.....

إلى آخره

فلم يتسن لي رؤية الصور التذكارية (ضاع أُلـ قبل
أن أستخرج الصور) التي ربما كانت ستعيدني إلى لحظة
كانت فيها يدي ماسكة بغصن شجرة في ساحة ماسينا
بينما صخب مياه النافورات كان يشوش على
سماعك وأنتِ تطلبين مني الاعتدال في وقفتي،
كنت لا أرى سوى شففتيك كطفلتين صغيرتين بصدد
اللهو تجري الواحدة وراء الأخرى و تتشابكان،
ولم يتسن لي حتى أن أشتري ألبوماً جديداً
بحجم تلك اللحظة التي جمّدت فيها آله التصوير حركاتي
وحركات أغصان الشجرة التي كانت يدي تمسك بها
كمن يمسك بعزيز مصمم على الرحيل
يلتمس منه العدول عن قراره.

(نبيس — شتاء 2005)

٥٢ ذوات مكان عال كثيف الأشجار يسمونه المقدم

كنا غارقين في حديث طويل — والحديث ذو شجون —
فلم ننتبه للشمس تغيب خلف الربوات البعيدة
وللنجوم تتسلل الواحدة تلو الأخرى إلى
سمائنا

التي كانت فوقنا بكل ثقلها —
كنا بلا نحن — فقط أشباحاً تتبادل أمكنتها
عن طيب خاطر
وظلالاً تطول وتقصّر كأنها تلعب بالنار
وأصواتاً ترتفع وتنخفض
كتضاريس البراري.

* غابة في الشمال الغربي التونسي سميت بالمقدم نسبة إلى أحد ساكنيها القدامى
الذي كان يقطنها منعزلاً ورحل منها هروباً من الأشباح.

كنا على هذه الحالة
غارقين في حديث طويل جداً
عن الجنية التي فقدت جميع أسنانها
حالما فتحت فمها للريح
وتجمدت في مكانها
لتصير هذه الشجرة
— الواقفة طوال الدهر في صمت —
والتي لم نزل تحتها نتحدث
بأصوات ترتفع وتنخفض كتضاريس
البراري
حتى إننا لم ننتبه لمرور الوقت
الذي انسل كإبرة تخللت قماشاً رهيفاً
ولنداءات الذين كادوا ييأسون من عودتنا
— برغم حاسة الشم القوية لكلايهم —
وناموا ليلتهم مستقلقين حذو كوابيسهم
عاقدين العزم على النهوض باكراً
لتمشيطة الغابة
مرة أخرى ...

(نيس — شتاء 2005)

أنت

(إلى صديقي الشاعر الفرنسي الجميل كازيمير برات

(Casimir Pratt

لقد جمعوك عندما ضعتَ بعدما أضعت قصاصات العناوين

جميعها

حين تعبوا فقدوك وحينما خلدوا إلى

الراحة وجدوك هنا

وهناك

فلمّوك من كل مكان يستعصي الوصول إليه

ولو على متن طائرات من آخر طراز

أنت الذي لم تعد تتذكر حرفاً واحداً من الحروف المكونة

لاسمك (لم يسبق أن نُوديَ عليك كي يتسنى لك ذلك)

أنت الأشبه بهلال يطعن في الصميم كل من يرفع النظر إليه

أنت الذي تم جمعك هذه الليلة بعد جهد جهيد

وسيتّم فقدانك غداً مع آخر نجمة تختفي في السماء

إلى متى يسمع سعالك بهذه الحدة؟

حالة لا تعني أحداً

أكسرُ قواعد اللعب مع لا أحد
أخرجُ في نزهة فوق القمر دون أن استأذن الظلال
أبعدُ بين السماء والأرض
أوقدُ أصابعي دون رحمة
أحاولني لآخر مرة — Ca passe qu Ca Casse —
عندما أكون بائساً كبائعة الكبريت الملسوعة بالبرد
عندما أكون رهيباً كامرأة تضع مولودها الأول حذو البحر
عندما أكون واسعاً كباب العرش.

(نيس 30-1-2005)

خطأ غير مقصود

(إلى امرأة لا أذكر أنني عرفتُها يوماً)

حينها كمن يُعدّل ساعته اليدوية حال وصوله
بلداً آخر — أبعد مما تتصورين — سأنسى
أنني كنت على وشك أن أنهار مثل بناية قديمة
وأحسّ الخطي كأني على موعد مع الشمس
بعد ليل طويل جداً كبئر عميقة
في حقل مهجور.

حينها — أقصد لما تسقطين أبداً مثل تفاحة
فلا أتعرف إليك إلا من خلال ستائر المخيلة التي
لم تعد لي بعد جميع ما حصل — أعدك عدّاً
تتازلياً حريصاً على أن لا أخطئ
مثل بخيل يعد مصاريفه في مرارة ما بعدها مرارة
وأجمعك من جديد في لهفة كمن يجمع
صاحبه من حوله بعد فراق طويل
لمراجعة ذكريات قمحية اللون.
حينها — وأنا أنزل درجة درجة هذا السلم الحجري

إلى قرار سحيق لا أعرف أهواله —
يرنّ هاتفى المحمول — بنغمة موزارت —
حاملاً إليّ رسالة عجيبة لا أقدر على حل رموزها
كنت قد وجهتها إلى من أخطأت كتابة رقمه
فجاءتني عن طريق الصدفة.

(مدينة كان — صيف 2005)

ذلك الشبح

أطلقني كلابك خلفه لتطارده
حتى آخر نبضة في قلبه
حتى آخر زرّ في قميصه

تلهي بمرآة
ينحدر كدمعة

ينبغي أن يذهب
أبعد مما يصل إليه النظّر
وأن تتحرك الأشجار من حوله
بلا أدنى ريح

ذلك الذي من فرط خروجه عن الحدود
على كتفه أنقاض
لا تجلبُ انتباه أحد

أن يتوغل — مثلما يتوغلُ مخلباً
في لحم فريسته — فيه
بأقصاه

أن ينكمش على ذاته
مثل ركن

وأن لا يوجد
إلا صدفة.

(جنوة — إيطاليا — ربيع 2004)

أولئك الذين يسمرون هنا

إنهم يخرجون — فرادى وجماعات — لجمع
محاصيل ليل
لا يأخذك به نعاس
يكاد يقضي عليك بنجومه
غير القابلة للعد
وقمره الذي استدار كما يجب.

إنهم يخرجون، غير آبهين لصيحاتك
الخرساء، كسمكات تتخبط في شباك
لم تنسج بعد.

يجمعونك في لهفة
ويضعونك في أكياس
من ريح
لا تهب أبداً.

يغادرون دون أن يلقوا نظرة أخيرة عليك
كما لو أنك حجرة أو خدش صغير في ممر
أو عشبة قزمة
لا تجلب الانتباه.

كهذه اللحظة
التي ستجلب لك النعاس
وتذهب خفيفة حالما لا تعود — أنت — هنا.
(نيس — أفريل 2005)

المراهن

(إلى عبد الفتاح بن حمودة)

جمعني من ذكرياته الصغيرة
جمع أصابعه العشرة
من فوق الطاولة
نهض
ليذهب في حال سبيله
الذي لم تتوضح معالمه

صديقي
الذي هاتفته هذه الصبيحة
لأقول له إن كتابه — الذي لم أقرأه بعد —
وصلني مع بريد اليوم
كان حزينا جداً

كان يلعب الورق
ويراهن على حياته
التي أضحت بلا معنى

كان بائساً
كما لو أن أصابعه
التي لم يقو على جمعها إلا بعد جهد كبير
أخذة في التساقط
الواحد تلو
الآخر
بالتزامن
مع
تساقط
شعرات
رأسه
الثقيل
كما
قال
لي

هذا
الصباح
في
الها
تف
إذ
لم
تعد
لديه
المسكنات
ولا
ثمن
شرا
ئها
بعد
أن
خسر
الر
هان .

تحذيرات نارية

حذار من اللعب بالنار
خاصة الزرقاء
في لون قميصك
الذي تتجاذب تلايبه الريح
كما لو أنها تتجاذب أطراف الحديث
تمضية للوقت.

حذار! لا تقترب أكثر
من كلمات لم تقلها بعد
ومن ظلال أخرى
تحلقت حولك لطبخ الشاي
وعد النجوم التي لم تظهر بعد
في سمائك
العالية أكثر من اللازم.

حذار! النار تحيط بك من جميع
الجهات التي لم يسبق أن التفت إليها
— سهواً أو عمداً —
وتراود روحك البعيدة
كصوت لا نكاد نسمعه.

حذار! صيحة أخرى
وتعود المياه إلى
مجارئها
المحفورة ليلاً.

خطوة أخرى
— إلى الأمام أو الورااء سيان —
كافية لزلزلة الأرض
التي تقف فوقها وحيداً
بقميصك هذا
الذي تتجاذب أطرافه الريح.

اليوم

أتممت كتابة الرسالة الأخيرة
التي سأوجهها إلى صديقي الشاعر
قلت له فيها أشياء عديدة
عن شجرات الحديقة التي لم تورق بعد
— رغم حلول الموسم —، وعن الدراجة الهوائية
التي لم أنجح في إصلاح عطبها
ما يقتضي حملها إلى محل
الميكانيك عند نهاية الشارع.
كذلك عن النعاس الذي لم يعد يأتيني بسهولة
والليالي التي لا تفتأ تطول مثل ضفائر هائلة
ليس لي قدرة على تمشيظها
بأصابعي التي بدأت تتساقط
كأوراق الخريف.
كذلك عن نافذة البيت
التي لم تعد تفتح على ما أشاء من المناظر
بعدما شُيدت بنايات مقابلة لها

حجبت عني جبلاً بالكاد كنت أراها

في الضباب الصباحي

لهذه المدينة الممنوحة للبحر

كذلك عن حياة أخرى كلها مياه

داخل بيوتٍ عائمة

رأيت روبرتاجاً عنها البارحة على شاشة التلفاز

الذي لم أغلقه — بسبب النعاس الذي أخذني على حين غفلة —

فظلّ يبيت برامجه — التي لم أعرف أبداً ماذا كانت — حتى

الصباح، حيث وجدته ساخناً ملتهباً

كما لو أنه عانى من الحمى طوال الليل

فسارعت إلى إطفائه مشفقاً عليه

قبل أن أعد القهوة وأخذُ في كتابة

هذه الرسالة الأخيرة

لصديقي الشاعر.

أُحرهم (أُقصر جميعهم!)

حياته كانت حكاية للمزاح
ضحك لها الآخرون مجاملة لا غير
إذ لم يكونوا قد انتبهوا كما ينبغي
لحظة سرد تفاصيلها
ولم يكن لهم ما يكفي من الوقت
— كل منهم — بما فيهم هو — كان على
موعدٍ خاص في جهة ما —
لسؤاله إعادة روايتها
من جديد
ولو بإيجاز.

(نيس — فيفري 2005)

محاورة

كي لا أَرعش ستائر النوافذ
ولا أسقط لوحات الجدران
ولا أربك حركات الساعة المعلقة
ولا أفزع القط النائم فوق الكنبه
رأفة بالبيت
وأركانه الأربعة
ويد البناء
كلّ صباح
أغادر في هدوء رهيب
كسارق.

هكذا

بإمكان الريح أن تستدعي
جميع ما هو في الجهة الأخرى

لنلتمّ الشمل

وتتمتع بمرأى الليل

ممزوجاً بالنهار

وفي لحظة سُكرٍ

أو نشوة قصوى

قد تبعثر كل شيء

لتشرع من جديد

في الانهيار على ذاكرتي

بالضرب المبرّح.

(نيس — صيف 2004)

الريح، أو بالتحديد صفيـرها
يتهيأ له أنه يتناهى إلى مسامعهم
أولئك الذين فقدناهم منذ أحقاب
وكدنا ننسى ملامحهم
إنه ينفخ في أرواحهم
ليظهروا فجأة

ويتحلقوا حولنا — مثل نمل يتجمع حول بقعة من الزيت
أو قطعة سكر مذاب —
بادئين الحفلة بالرقص
والتصفيق المدوي
وإشعال النار هنا و هناك.

آلام

(إلى أخي منجي العبيدي)

عندما تهبُّ الريح
أشعرُ بآلمٍ حادٍ في رأسي
كما لو أن الأفكار والأخيلة فيها تكون بصدد التقلع
للتطاير مترنحة في الهواء كأوراق الخريف.

لم أذهب يوماً إلى طبيبٍ لاستشارته في الأمر
فقد اعتبرتُ ذلك عادياً جداً
وبقيت مستسلماً له
كشجرة.

الريح حين تعصف
تكس كل ما تجده في طريقها
وأحياناً الطريق نفسها
ومساحة الزمن التي لم تطأها أقدامنا بعد.

— —

لا يزال يعدّ أصابعه
في هدوء شجرة محطمة.

أجبية

كل نجمة من نجوم السماء
نقطة حارقة أضعها على الحرف
كل حرف من الحروف مفصل من مفاصل عظامي
يسمح لي بالحركة
ويؤلمني إذا مشيت طويلاً
أو قفزت من مكان شاهق
كل عظم من عظامي عمود
من أعمدة البيت
الذي بلا سقف.

أُعْرِجْ

كم أودُّ أن أحبك أكثر من أخرى
لا أعرفها — وربما لن أعرفها أبداً —
كم أودُّ أن أخرج إليك دون أمل في العودة
كم أودُّ أن أنهار أمامك كمياه الشلال
كم أودُّ أن أجمعك
كما تجمع مراهقة الأزهار لحبيبها
كم أودُّ أن أنحاز إليك كحكم غير عادل
وأغلق جميع النوافذ التي لا تفتح على شمسك
كم أودّ — لكنني لا أقدر
وهذا السبب في عَرَجِي.

أُتَعَرَفُ إِلَيْكَ فِي كُلِّ مَا يَدُورُ جَوْلِي مِنَ الْأَجْرَامِ
وَمَا يَجْرِي مِنَ الْمِيَاهِ.

أَنَا الَّذِي كُونُكَ وَمَحَاكِ بِحَرَكَتَيْنِ لَا إِرَادَتَيْنِ
لَسْتُ سِوَى الْحَصِيَّاتِ الَّتِي أَلْقَيْتَ بِهَا مِنْ مَكَانٍ شَاهِقٍ.

محو غير مقصود

وطوال رحلتي لم أنج من ليلك الطويل كضفائر جنية في الآلاف
من عمرها

لم أفصل حياتي على مقاس جسدك ولم أنجح في أن أكون
ظلالك

أنا الذي كل صباح أحرق رموش عيني لأنثر رمادهما في مياه
النهر الجاري باتجاهك

أتعرف إليك في بصمات الأصابع الممزقة

في الحركات البهلوانية العسوية عن التقليد

في الضفاف الهادئة كآلام مكتومة

في أكوام الريش والمخالب والظلال والنظرات التي تكسر بلور
النوافذ

في سلال المهملات المحشوة بأطر الصور المهشمة وقواقع

الوقت الضائع و ضفائر المنتحرين

في كل ما ضاع في جميع أنحاء هذا الكوكب منذ لحظة ولادته
حتى الآن

عملاق يأتي

عما قليل

ليأخذ معطفه الضخم

في هدوء

بعدها تمطر

بغزارة ...

تهمس العجوز

لحفيدتها ذي العينين المغمضتين النائم على ركبتيها.

حكاية قريسة

(إلى روح جيتي زهرة)

السماء معطف ضخمة
لعملاق يأتي عما قليل

له ساق في النهار
والأخرى في الليل

لذلك الأرض ترتج
كلما خطى إلى الأمام
أو تراجع إلى الوراء

كما لو أنها
كعب حذاءه

هم بعيداً، نحن أبعد

لا ينتبهون إلى أننا لم نعد نتذكرهم إلا لماماً
لا ننتبه إلى أننا لم نعد نتذكرهم إلا لماماً
لا ننتبه إلى أنهم لم يعودوا يتذكروننا إلا لماماً
كل منا — هم و نحن — لا يزال يَعدّ بدقات قلبه
الكيلومترات من النجوم
وهو يحاول بصوت عال أن يذهب أدراج الرياح
منتظراً الصباح الذي سيجيء كعادته
متردداً كلص غير محترف
ليدخل من النوافذ
التي آلمها الاصطفاق طوال الليل.

(نيس — 5/4 مارس 2005)

ماسحاً العرق

كمن يحفر قبره بيده مليمترًا مليمترًا
أكبرُ خارج البيت الذي آواني
قبل أن يتهاوى
من فرط ثقل السقف
الذي لم يُشَيّد.

أكبر داخل البيت الذي لم يأوئني
بعد أن بُني على أكمل وجه
كذلك كمن يحفر قبره بيده مليمترًا مليمترًا
ماسحاً العرق على جبينه بين لحظة وأخرى
بمنديل أبيض.

الوردة ملء الليل

أكتبُ

عندما أجلس كيتيم لأجمع صوري من برك المياه
عندما أجهش بالبكاء على أعوامي التي تكسرت تحت حوافر
الغول

عندما لا أجد يداً أمنحها الوردة التي تعالت ملء الليل
عندما لا أملك إلا أن أعود إلى الوراء لأن الأمام ليس سوى
البحر

عندما أأكل من أثر المطر كجدار
عندما أكون مهجوراً ككرسي متحرك — مات صاحبه المقعد
حسرة على حيويته الضائعة —

عندما أكون كركن منسي نبتت له مخالب من شدة الوحدة
عندما تتساقط أوراق شجرات حديقتي كدموع
عندما يوضع بيتي في زاوية منعزلة
وتقوم الأرض بدوراتها المعتادة من دونه.

(نيس 2004)

على سبيل السهو

(إلى صديقي الشاعر حسين حبش، ذات أمطار ضائعة في بون
(...Bonn

على سبيل السهو قد أعيش النهار ليلاً
قد أعيش الليل نهاراً
قد أدخل البيت من الباب الخلفي
قد أدير المفتاح في الوجهة الخاطئة
قد أكل أصابعي بدل الحلوى

على سبيل السهو كذلك — وبحركة عفوية جداً —
قد أعود القهقري إلى
الفصل الأول في المدرسة
— بدل أن أتقدم في العمر —
لأرسم حرفاً كبيراً
أعوج كذاكرة سكرانة
وأعيد غرس شجرة العائلة
بيدين مجرّحتين.

(قرية سؤلوز — شتوتغارت — ألمانيا/ خريف 2000)

إلى ضيافة — ولو قصيرة —
نتحدث خلالها معه عن الظلام الذي يستفرد به حالما
ينام الجميع
والكلاب السائبة
والقطط المتوحشة
التي روضها مثل لاعب سيركٍ ماهر
لا يقدم عروضه إلا ليلاً
في مسرح خال من جمهور
كُتبَ عليه أن لا يصل
إلا متأخراً في كل مرة
في ساعات الصباح الأولى.

النظر في واجهات المحلات ... الخ
بارد جداً هذه الأيام
أمطاره تسوط ظهري
وريشه تلسع وجنتي حتى الاحمرار.

الخارج متى تبنى حوله جدران
ولو واطئة
في مستطاع خنفس أن يتسلقها
ويدلج إلى ركن دافئ؟
متى أعود منه دون شعور بأني هارب؟
متى لا أعاود الخروج إليه بهذا الحنين
الذي يجرف كماء جدول في غابة بعيدة؟
متى لا أعود أفكر فيه في توجس
كمن يتأمل نمرأ يرقد بالقرب منه؟

الخارج الذي طرد منذ أحقاب إلى غير رجعة
كما يطرد المجرمون قديماً إلى أماكن يجهلون جغرافيتها
متى نمد له يداً — ولو قصيرة —
لنأخذه معنا

متى نمرُّ له يداً؟

الخارج
الذي لم يبق خارجاً إلى الأبد
ما لم تحط به جدران
يغطيها سقف،
أشعر ببرده
حالما ينغلق الباب
ورائي على أشياء البيت: مثل
الطاولة، الخزانة، السرير، أواني
الطبخ ...
التي لا تخرج أبداً.

الخارج الذي أقصده للتنزه
وقضاء حوائج شتى:
مصافحة صديق
لمس أوراق جديدة في شجرة

غير مبالية بصاحب البيت
الذي لم يسكن بعد
الذي يجمع ذاته من كل مكان
الذي لا يأخذ حياته مأخذ الجد
يعتبرها مزحة
لا تُضحك أحداً.

ويشرع في نسيانها
بالمشي الدائم
من أولى أيام الأسبوع
حتى صباحات أيام الآحاد
التي يحلو له فيها أن يركل
بقدميه المتهرئتين
الواجهات الحديدية المغلقة.

(نيس – 2005/5/5)

البيتَ الذي لم يبين
خلف أكداس الحطب.

هكذا يمر شريط الأفكار سريعاً جداً
مرور فأرة صغيرة في رواق البيت
حالما يُطرق الباب طرقاتٍ
متتاليةٍ

كما لو أنه يتعرض للضرب المبرح
— دون سبب وجيه —

من أحد ما في زيارة غير منتظرة
بالمرة.

حتى أنه لما يحصي أصابعه
لا يجدها كاملة
البعض يسقط خلال سيره على
غير هدى
والبعض الآخر تنتزعه ريح
لا تزال تطرق الباب
بكل حدة

يُصادقُ الأشجارَ في كل مكان
كي يجمع أعواد حطب
يكدها أمام بيت
لم يشرع بعد في بنائه

يسيرُ طويلاً في الممشى الحجري
الذي تكاد تأكله الأعشاب
المتوحشة
في غياب البستاني ومحشّه
في غياب البريد الذي نسي
أن يصل
ولو متأخراً

ولو بعد رحيل المتلقي الذي لم يسكن بعد

* S.D.F : كلمة متداولة في فرنسا ينعت بها المشردون الذين بلا مأوى وهي

اختصار لعبارة: Fisce ileDomic Sans

ضيف السهرة يغاور فجأة

ومع ذلك كان ينبغي أن أنسحب مغلقاً ورائي الباب
تاركاً كل هذا الغموض يتصاعد كالبخار حتى السقف
أن أصفح أحداً لا أعرفه يعترض طريقي في الممر المقابل
وأذهبُ معه في رحلة أخرى
يجهل الجميع وقائعها
أن يتسابق الكل في سرد ما تبقى
والتكهن بما آلت إليه الأحداث
ومع ذلك ستظل الرياح تهب قوية
والأمطار تتهاطل بغزارة
خلف بلور النوافذ.

مياه

عندما تتهاطل الأمطار بغزارة
مكونة خطوطاً متواصلة من أعلى إلى
تحت

كما لو أنها سيوف في صدر الأرض العاري كفضيحة
تتشكل فقاعات ماء مثل زوارق صغيرة
ما أن تظهر حتى تحملها المجاري الهاربة من الرّعد نحو
المنحدرات

فقاعة قد تصطدم بجذع شجرة
أخرى تهوي في حفرة
أخرى تلتقطها كف صبي عابث
لكن الآلاف والآلاف منها
ينفلق لوحده في منتصف الرحلة
بعد أن تتفخ فيه الريح بقوة
كما لو أنها تطفئ
شموع عيد الميلاد.

(نيس — خريف 2004)

مساحات

(إلى عبد الهادي سعدون)

نكبرُ كالأشجارِ، كالأحجارِ، ككل شيء
كلما كبرنا أكثر ملأنا مساحات من هذا الفضاء
كانت شاغرة إلا من الهواء
ومن هبة عصفور أو فراشة بين فينة وأخرى
مساحات لم تسبقنا إليها جدران تبني فجأة
نملأها بقامات و رؤوس تتحرك
وتتلفت هنا وهناك بعيون واسعة.

كالأشجار، كالأحجار، ككل شيء أيضاً
سنختفي ذات يوم لنترك المساحات
لمالكيها الأوائل: الهواء، هبة عصفور
أو فراشة بين فينة و أخرى
صغار يكبرون
جدران تبني فجأة ... الخ ... الخ .

حقيقة

باستطاعته أن يدور ويدور

ويدور

مثل الخدروف

هذا الكوكب الذي أنا فوقه

بتقلي الذي لا يحس به مطلقاً

كما لو أنني ذبابة على ظهر ثور هائل.

باستطاعته كذلك أن يتوقف — في أية لحظة —

دون أن أملك القدرة على تحريكه مليمتراً

بهاتين اليدين الصغيرتين.

لكن، ليس باستطاعته أبداً

أن يلغي حقيقة أنني كنت فوقه

وأنني أكثر من مرة

ركلته

بهاتين القدمين الصغيرتين.

استراحة عابر سبيل

سأنتظر هنا في هذا المخبئ
المليء بالليل
وموسيقى الصمت
توقفَ المطر الذي يدق عظام الأرض في الخارج
(أو الداخل، لا أدري!)
سأنتظر هنا برهة
أحدث خلالها الظلال
والأركان
عن المياه التي تجري من تحتي
عن اللصوص الذين يقطعون الطريق
كما يقطع الضجيج نظام الأفكار
عن تلك التي خرجتُ من حياتها
مثلما تسقط ورقة خريفية من شجرة
عن بيت أضعته سهواً
حال التفاتة مني إلى جملة خاطئة

عن كيس المجهول الذي لم أقو على حل رباطه حتى بأسناني
وعن أشياء لا أتذكرها الآن ...
سأنتظر قليلاً

قبل أن أنسل خفيفاً كخييط نحيل يخرج من ثقب إبرة
إلى الخارج
(أو الداخل، لا أدري!)
حيث طريق ستأخذني
إلى جهة أخرى.

(نيس — خريف 2004)

أطياف

ظلالتي

تطول

وتقصّر:

شياطين تحاول

إخافة جسدي.

**

قامتي ألف

ليلاً تحاذي

الهاء.

**

سما

أرهقت عنقي

أمكن لي رؤيتها جلياً

في قاع غدير

**

أصابعي وضعت السماء فوق ركبتي
وأنا تحركت ...

**

أحفرُ عميقاً
عما هو أثقل من خرافة
وأخفّ من هواء النافذة
أحفر
عن جذور
تطير!

**

روحي التي
طارَت ...
عادت لتخط على أغصاني
وهي تسعل بلا انقطاع.

**

السماء عالياً
لا تزال تحك أظافرها!

ميلاد فايزة

إنه هناك في ميشيغان
ينهض في صباحات أخرى
غير الصباحات التي أنهض فيها هنا في فرنسا
على مرأى روعي الذي غادرني
كما يغادر الدخان بلا أمل في العودة
يقرأ بريدته
وهو يرشف قهوته في هدوء جبل
وسيجارة المارلبورو
بين أصابعه النحيلة
السمراء جداً كأغاني صيف.

(نيس – 2004/12/10)

تألم

(إلى فتحي قمري)

قبل أن تقرر إزاحة أصابعك العشرة دفعة واحدة
وإكمال حياتك دون عدّهن آلاف المرات في اليوم
تأكد من أن السماء لا تزال فوقك
والأرض لا تزال تحت قدميك.

قبل أن تترك البيت دون رجعة
وترمي المفتاح في مياه النهر الجاري باتجاه المجهول
تأكد من أن قامتك استطالت كشجرة سرو.

قبل أن ترتكب جريمة أخرى
يعاقب عليها قانون الغاب
تأكد من أنك أنت حتى الآن
ولا أحد حلّ مكانك ليلاً.

لا ألوي على شيء سوى جمع الحطب

لحظتها

لن أجد من يدلني على مأوى أخير
لن أضيع في الفضاء مثل رصاصة طائشة
لن أشرب الماء الذي منه خلقتني الله
وأمسح شفتي بكم قميصي
لن أشعل النيران في حدائق الجيران كي
أرى أصابعي تطول أكثر من اللازم
لن أنام كجبل هادئ
لن أستيقظ صباحاً كي أحلق ذاكرتي من الليل
وأعِدّ نفسي كما يجب
لأزفها عروساً لنهار جديد.

لحظتها — خاصة لما يشتد البرد أكثر
وتتساقط الثلوج غزيرة مثل ملائكة
يغمى عليها فتتهي من أعلى

وينجرف التراب الذي طالما مشيت فوقه إلى حاجاتٍ شتى
وتظهر مسالك جديدة بعد مياه السيول —
لن أكون في انتظار أحد
لا يأتي فأوجه له رسالة عتاب
لن يكون في انتظاري أحد بصدد قراءة حظه في الجريدة
تمضية للوقت الذي أكون خارجه
سأخرج من البيت راكضاً
كدم يتدفق من جرح ساخن
لا ألوي على شيء سوى جمع الحطب
من تلك الغابة
التي تخفيها هذه الشجرة
وإلقاء نظراتٍ قد تكون أخيرة
على أرانب برية.

(نيس — فيفري 2005)

— Week end —

سأذهب أبعد من كل التوقعات
وأبني لي بيتاً من قطع أحجار ناتئة تساقطت
من كواكب سماوية كأنها مطرودة من الجنة
وأغرس حول هذا البيت أشجاراً أزيتها بنجوم الظهيرة
وأحفر كالنمل آباراً عميقة جداً كليال طويلة
وأدعو إلى هذا البيت ضيوفاً كانوا قد غادروا
وآخرين لم يجيئوا بعد، لأحدثهم بحماس
— ونحن نتناول العشاء على ضوء الشموع — عن
استيقاظي باكراً هذا الصباح خصيصاً للذهاب
إلى المدينة و الطواف بجميع مغارات الفخار
لشراء هذه المزهرية التي على هذه الطاولة أمامنا
والتي من أجلها أبكر غداً إلى سوق الأزهار
الذي يصادف يوم أحد.

صبي يتمرن على المشي

لن أذهب بعيداً هذه المرة

لن أخطئ عدّ النجوم

لن أخطئ تقدير عواقب الخروج عن حدود الليل

لن أحول دون وقوع السماء كصبي يتمرن على

المشي

أو كمحظور أحمر بلون الدم

لن أحدث أحداً عن العاصفة الأخيرة

وما تركته من أشجار صرعى على الطرقات

لن أجرب الدخول من النافذة — ولو لمرة

أخيرة — كشعاع القمر

لن أطرشق أصابعي ضجراً وأنا أترقب رسالة لا أدري من أين

لن أذهب بعيداً.

أركان البيت

حتى إن قُطِعت إلى أجزاء
ورُمي كل جزء في جهة ما
لا تقودها الصدفة يوماً إلى ملاقاتة الجهات الأخرى
لن يهمني أنني سلكت سبيلي
متفرقاً دون أن أتجمع
مثلما تتجمع مياه السيول في بركة
ولن أعبأ بالصياح الذي ستجلبه الرياح
من هذه الجهة
أو تلك
ما دام لدي كل هذا الهدوء
الذي لا تملكه سوى الأركان.

فقران الوعي

الأرض تدور بأكثر سرعة
لما تكسر الريح قواعد اللعب
فأتعثر بعكازي مثل شيخ ضرير
وأسقط بكل ثقلي كمطر الصيف

خاصة إذ أجوع فأكل من ذاكرتي
وأشرب من دمي الساخن
من كثرة العدو على غير هدى
في طرقات أخرى

الأرض تدور بأكثر من سرعة
ذعراً من الأروقة المدلّمة
المنسوجة من خيوط الخرافة
التي نعرفها
جميعنا

ونحفظ تفاصيلها عن ظهر قلب.

سوف أقول أكثر من هذا الريش الأسود
أنا الذي لا يزال — في مشقة — يلتقط أنفاسه
كحبات قمح
من على وجه اليابسة
ويحاول — مستجمعاً قواه الغيبية —
أن ينهض.

خزانة

الخزانة التي أودعتها ملابسكِ الداخلية
لم تحفظ أسراركِ
باحث بكل شيء لعمال جمع الزبالة
حالما رميت بها و استبدلتها بأخرى جديدة
هي كذلك ستصمت طوال حياتها لكن
ما أن تحس بأنها بصدد لفظ نفسها الأخير
حتى تسارع إلى لفظ أسراركِ معه
الخزانة

التي وهبت مرآتها صورتكِ آلاف الصباحات
الخزانة ذات الأرجل الأربعة التي طالما آلمت
مربعات الجليز بثقلها الذي من ثقل
ثيابكِ الأكثر التصاقاً بكِ
الخزانة التي كانت صامتة في الغرفة
التي لا صرير حتى لأبوابها
كم تحدثت

وكم تحدثت حتى وهي مفصولة عن
قوائمها الأربعة
التي كانت — في حالة الهستريا —
تركز الشارع
والعمال
والشاحنة الكبيرة...

كلمة لأحدهم داخل المتحف

.. .. وهنا لم أقو على الوقوف
دون الاستناد على الأمس
الذي فرغ مني تماماً حتى آخر قطرة
لم أقو حتى على مد يدي إلى الزر لإشعال الضوء
داخل الغرفة الواسعة كحياة لم يعشها أحد
لم أقو حتى على التقدم خطوة واحدة
أو التراجع خطوة واحدة
كان عليّ أن أقف كتمثال قديم ليس أكثر
منتظراً السياح الذين سيتهافتون على ملامستي
وتدوين مذكراتهم بابتساماتٍ عريضة.

(نيس — شتاء 2005)

رسالة قصيرة إلى صديق آخر

سأكون حذوك
حتى إن لم آت في الموعد المحدد بكل دقة
حتى إن لم آت أبداً
حتى إن طال ترقبك مثل شجرة سرو في ساحة مدرسة
سأكون بقربك أسمع سبابك و شتائمك لهذا المخلف
لوعده المتأخر دائماً كعربة خلفية
في قطار طويل
سأكون معك لأنني لن أكون هنا
بعدُ لست هنا
لا أستطيع أكثر من هذا ...

(نيس — أفريل 2005)

الخبر الآخر

الذين حضروا جميعهم سريعاً مثل عارض المطر
تحلقوا حولي — مثل سرب كواسر حول جثة في صحراء—
ليحدثوني عن حادثة وفاة صاحبنا أخيراً — لم أكن أعرف ذلك—
قبل أن ينفضوا من حولي سريعاً أيضاً مثلما ينقضي عارض
المطر

الذين حضروا و غادروا لم يعرفوا
أنهم — مثل صاحبنا —

عاشوا وماتوا
أنا الوحيد الذي يعرف
ويحتفظ لنفسه بالسّرّ.

طريقة قريضة

أمشي إليك
بخطوات أولى مشيتها صغيراً
بجسد يتمايل
عندما كانت أُمي تدربني على المشي — في صحن ذلك البيت —
نحو لعبة قديمة.

خطوات صغيرة جداً
أعيد مشيتها من جديد
بذات الإيقاع الخافت
كضوء مساء.

باتجاه بيتك
المبني بأحجار ذاكرة
فقدت في حادث سير
في طريقة سريعة.

سوابق

لم يسبق لي أن خرجت عن حدودك التي لا تكف عن التحرك
كرمال الصحراء

لم يسبق لي أن أفشيت سرّ العاصفة التي تهب في كل مرة بلا
داع

لم يسبق لي أن كنتُ دونك و لو على سبيل الخطأ
لم يسبق لي أن كبرتُ كبطن الحامل دون تربيت كفاك
لم يسبق لي أن تشابكت معي كأغصان شجرة دون تحريض
عينيك

لم يسبق لي أن غادرت دون جرة من قلمك.

فلك الجبل

ما أعلاه
كم يتعبنا تسلقه
مستندين أحدا على
الآخر
بجسدين ينتفخان
ويتقلصان من اللهاث
في انتظام عجيب
يشابه انتظام عقارب الساعة
لا يربكه تعب العضلات
ولا الانزلاقات الصغيرة
ولا — حذار!
ولا — هيا لم يعد هناك الكثير!

حالات جريرة

صيرتُ

قديماً كذكرى غائمة

لا نتذكر سوى تفاصيلها الكبيرة

مثلما لا يتذكر مجرم

سوى الطعنة القاتلة

التي جمدت حركات ضحيته

ومنظر الدم الفائز ساخناً.

لا أفعلُ شيئاً

عدا الخروج من البيت والدخول إليه

كي أتأكد من أنني لا أزال أتحرك

ولا أزال أسكن البيت نفسه

والحي نفسه

والمدينة

والبلاد

والكوكب

و

أحصي نبضات قلبي بين فينة وأخرى
كما يحصي المتسول ملاليمه آخر النهار
وأوجل جميع ما ينبغي عمله
إلى أوقات أخرى
لا تأتي أبداً.

لا أرى أحداً
ألقي عليه تحية الصباح
أو تحية المساء.

لا أسمع أحداً
يناديني
ولو بصوت خافت.

لا أكثر من التحدث
إلى نفسي
مخافة أن يتطور الحديث إلى شجار
وتشابك بالأيدي.

أَمْشِي ببطء سلحفاة
— ولو إلى موعد مع الشمس —
مخافة أن أتهاوى
وأسقط
ليس على الأرض
بل تحتها
بأُميال.

ليل أسود

الآن

بعد أن فكرت مثل جبل هرم
أدركت أن لا محيد عن التحلي بخصال ليل أسود
والزحف بلا أمل في العودة
ولو يائساً

إلى ما كان
وإن علي الخروج دائماً
عن الحدود
ولو كلفني ذلك أن أدور حول
ما لا أعرف من الأماكن
مثل مفتاح يدور في قفل أوسع منه
الأمر الذي يثير غضب حامله
— الذي في الأصل هو سارق —
فيلقي به مزمجراً على قارعة الطريق
نادباً حظه.

أشباح أخرى

(إلى محمد لطفي اليوسفي)

مدفوعين من الوراء نذهب كالأنهار نحو جهات لا نعرفها
— يعرفها أولئك الذين حفروا المجاري، حتى
أولئك الذين لم تدفع لهم رواتب العمل
المضني —

نحن الذين نعدو هاربين من أشباح فاجأتهم في
ليلة رأس السنة
كم نحبهم أولئك الذين لم يتذكروا
الذين انتظروا الهدايا حتى الصباح
الذين كادوا ييأسون من الخروج مضيئين كشمس أولى
أيام العام
الذين اخطأوا عدّ الأيام التي تفصلنا عنهم
الذين قضوا الكيلومترات بشراسة جمال
تسير على غير هدى
في صحارى كبيرة كجذات
لم نعد نتذكر تاريخ ميلادهم.

تقاطعات عمراء بلون النرم

لدي موعد مع مرافقة يعود إلى عشرة أعوام
علي أن أذهب إليه الآن
واعتذر لها عن عدم قدومي في الموعد المحدد.
إذا لم تأتِ — إذا كانت قد أتت
قبل عشرة أعوام
ولم أكن قد أتيتُ —
فعليها أن تأتي بعد عشرة أعوام من الآن
لتقول إنها مرت ثانية بنفس المكان
ووجدت مكتوبةً على الإسفلت هذه السطور
والدموع الغزيرة الغزيرة
كشموع عيد ميلاد عجوز طاعن في السن.

(القطار بين تولون و نيس — 2005/1/28)

آخر رسالة

الشمس

التي تعرّني ما بيني وبينني من الفجوات
أتدرب على أن أتقن أشعتها
كمن يتقن حرفة أجداده.

أشعتها جميع ما يذهب
أدراج الرياح

الشمس كُجّة ألعب بها في كبري
أدعكُ بها الضجة
وأرمي بها زجاج النوافذ.

الشمس

هذه التي في حجم شهقة من شهقاتي في سنوات الرضاعة
أو نقطة في نهاية آخر رسالة أقرأها
أو حصاة صغيرة
لا تصلح لبناء ما تهدم
ولا لنحت التماثيل
ليست سوى حياة عصفور مهدد
بالانقراض
أعيشها بدلاً عنه
بكل ما يكتنفها من الرعب.

(نيس — ربيع 2003)

مولاني فارغة

ودون أن تجد أحداً في انتظارك سيحل ركبك
مثل عاصفة مفاجئة
لم يتوقعها علماء الرصد الجوي
ستسيل كدماء ساخنة
من أنف يتعرض لضربة شمس صيفية
ويتشربك تراب الضفة.

أنت الذي لم نقرأ له حساباً
أنت الذي لم يتوقعك المنجمون
كم سيكون حلولك حزيناً كحلول الخريف
كم ستنوح مقعياً على ركبتيك
دون أن يتناهى نشيجك إلى سمع حجرة.
نقول لك وداعاً حتى أياں قدومك
وداعاً لأننا لن نراك مرة أخرى
نحن الذين ندوي كالأعشاب الطرية
المنهمكون في الخروج بلا أمل في الرجوع
— ولو فرادى — مثلما ترجع الطيور المهاجرة
مهتدية بالشمس.

نقول وداعاً حتى لدى قدومك
الذي ليس بمقدورنا أن نتوقعه
في غياب ما يدل
من النجوم
التي نحن تحتها ننظرُ نحونا
دون أن يعترينا الدوار.

دون حتى أن ترى أحداً
ستغادر بدورك — ثانية وثالثة و رابعة ... —
ناسياً أن تمسح الدمعة الأخيرة من على خدك
الذي لم يُقبل من مدة طويلة
ناسياً أن تقول وداعاً
لنا

نحن الذين هنا — هناك
لا نراك رغم صفاء الأفق
المنهمكون في الذهاب أيضاً
إلى أماكن أخرى
لا ينتظرنا فيها أحد.

الفهرس

5	هو
6	اعتذار
8	في الطريق نسيتُ
9	أوراق يابسة
13	أحدثك
15	ملاحظات زائر آخر للمعرض
19	نحن
21	طربوش الأبله
23	في حادث غريب
24	ذات مكان عال كثيف الأشجار يسمونه المقدم
26	أنت
27	حالة لا تعني أحداً
28	خطأ غير مقصود
30	ذلك الشبح
32	أولئك الذين يمرون من هنا
34	المُراهِن
37	تحذيرات نارية
39	اليوم
41	أحدهم (أقصد جميعهم!)
42	محاذرة
43	— S.D.F —
46	متى نمذُّ له يداً؟
49	على سبيل للسهو
50	الوردة ملء الليل
51	ماسحاً العرق

52	هم بعيداً، نحن أبعد
53	حكاية قديمة
55	محو غير مقصود
57	أعرج
58	أبجدية
59	— —
60	آلام
63	ضيف السهرة يغادر فجأة
64	مياه
65	مساحات
66	حقيقة
67	استراحة عابر سبيل
69	أطياف
71	ميلاد فائزة
72	تأكد
73	لا أُلوي على شيء سوى جمع الحطب
75	— Week end —
76	صبي يتمرن على المشي
77	أركان البيت
79	فقدان الوعي
80	خزانة
82	كلمة لأحدهم داخل المتحف
83	رسالة قصيرة إلى صديق آخر
84	الخبر الآخر
85	طريقة قديمة
86	سوابق
87	ذلك الجبل
88	حالات جديدة

91	ليل أسود
92	أشباح أخرى
93	تقاطعات حمراء بلون الندم
94	آخر رسالة
96	موائى فارغة

رضا العبيري

- ولد عام 1973 في قرية "سيدي عبيد" التابعة لولاية جندوبة في شمال غرب تونس.
- يعمل ويقيم في فرنسا منذ سنة 2000.
- حاصل على شهادة الأستاذية في اللغة والآداب العربية (كلية الآداب بمنوبة — تونس).
- نشر العديد من نصوصه في الصحف والمجلات التونسية (الصحافة، الصباح، الأخبار، الجوهرة الفنية، الإتحاف، الحياة الثقافية...)، وخارج تونس (الزمان، القدس العربي، الغارة الشعرية، ضفاف، الحركة الشعرية، ألواح، القصيدة...).
- له مجموعات أخرى وترجمات في انتظار النشر.

من إصدارات "سنايبل" الإسبانية المصرية للكتاب

- أن تعيش لتحكي
السيرة الذاتية
جابريل جارتيا ماركيز
ترجمة: د. طلعت شاهين
- من حلاوة الروح
رواية
صفاء عبدالمنعم
- قطرات الماء
تأليف: ميديوروما شون
ترجمة: د. أحمد فتحي
- كتاب العشق والدم
شعر بالعربية والأسبانية
طلعت شاهين
- قيامة البحر
شعر
د. قرشي ندرأوي
- رجل عدن
رواية
تأليف: كلارا خانيس
ترجمة: د. طلعت شاهين
- إلا .. تعال
شعر
سهير الداود
- كائن العزلة
رواية
محمود الغيطاني
- مملكة الجوارح
رواية
د. زينب أبو سنه
- ثلاثاءات عابر سبيل
شعر
السماح عبد الله
- نضارة شمس
شعر
عطية حسن
- جماليات الرفض
في مسرح أمريكا اللاتينية
دراسة
د. طلعت شاهين
- القرمية
رواية
تأليف: سميحة خريس
- طلسمات مصرية
محمد حسين يونس
- رصيف يصلح لقضاء الليل
شعر
سامي الغباشي
- حكاية أيراندير البرئية
تأليف: جابريل جارتيا ماركيز
ترجمة: د. طلعت شاهين
- بين انكسار الحلم والأمل
شعر
سيد جودة

